صفة خاصة بالمومنين

وَجَل القلب

وجل القلب وخشيته: الأسباب. والثمرات

المقدمة

الخشيةُ والوجل عبادة قلبية ، وتقاسُ هذه العبادةُ عندَ

سماعِ كلامِ اللهِ الذي قالَ عنه –تعالى–:

" لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ

خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ".

(الحشر : 21)

فإذا كانَ هذا أثرُه في جَبلٍ أشمٍ، فكيفَ بقطعةِ لحمٍ، فقلوبُ

أهلِ الإيمانِ وصفَها اللهُ قلوبٌ مهما فعلت من الخيرِ، فلا

تزالُ تشعرُ بالتقصيرِ، في شكرِ نِعَمِ اللطيفِ

عناصر الموضوع

عناصر الموضوع :

أولاً: صفة قلوب المؤمنين وجلة خاشعة.

ثانيًا: معنى الوجل

ثالثًا: أهم علامات الوجل

رابعًا: كن من الذين إذا ذُكر الله وجلت قلوبهم.

خامسًا: أهمية فهم معاني القرآن.

سادسًا: بعض أسباب وَجَل القلب وخشيته.

سابعًا: فضائل القرآن الكريم

ثامنًا: ثمرات وجل القلب في الدنيا والآخرة.

أولاً: صفة قلوب المؤمنين وجلة خاشعة

المؤمنون حقاً:

في القرآن الكريم آيات عديدة ذكرت بيان صفات المؤمنين، من بينها تلك الآيات التي بينت حالهم حينما تتلى عليهم آيات الله، ووصفت أحوال قلوبهم حينما يُذكر الله، ، قال الله –تعالى–:

" إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ". (الْأَنْفَالِ:2)

تصف الآية خمس صفات خاصّة بالمؤمنين:

أولاً: إنما من أدوات الحصر وما معنى الحصر؟

إثبات الحُكم في المذكور ونفيه عما عداه فالمعنى ما المؤمنون إلا هؤلاء.

الصفة الأولى: " الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ "

المراد " بالذكر"، ذكر عظمة الله وجلاله.

وذكر الله عز وجل خمسة أوصاف

" الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم".

أي: خافت لما فيها من تعظيم الله عز وجل فإذا ذكر الله وجلت قلوبهم، وخافت منه تعظيما له –سبحانه وتعالى–

مثال ذلك: رجل أراد هم بمعصية فذُكر بالله، وقيل له اتق الله، نعم إذا كان مؤمنا ماذا يكون قلبه حينئذٍ؟

نعم يوجل ويخاف هذا دليلاً على الإيمان أنه إذا ذُكر الله لك وجل قلبك، ووقفت على حدة.

(الشيخ بن صالح بن عثيمين– رحمه الله– كتاب التوحيد)

وهنا وجلت تعني استشعار الخوف من الله،

حيث تعني هذه الآية أن المؤمنين الصادقين إذا ذُكرت

صفات الله خافت قلوبهم، وفُزعت استعظاما لجلالة.

ثانيًا: معنى الوجل

قال ابن كثير: وهذه صفة المؤمن حق المؤمن الذي إذا ذكر الله وجل قلبه.

أي : خاف منه، ففعل أوامره، وترك زواجره.

يقول الشيخ السعدي:

ومن نقصت طاعته لله ورسوله، فذلك لنقص إيمانه، ولما كان الإيمان قسمين : إيمانا كاملا يترتب عليه المدح والثناء، والفوز التام، وإيمانا دون ذلك ، ذكر الإيمان الكامل فقال : إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الألف واللام للاستغراق لشرائع الإيمان. "الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ"

أي: خافت ورهبت، فأوجبت لهم خشية الله تعالى الابتعاد عن المحارم، فإن خوف الله تعالى أكبر علاماته أن

يحجز صاحبه عن الذنوب.

الوجل هنا ليس هو الخوف المحض:

كما في قوله تعالى:

" وَنَبِّئْهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ * إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلامًا قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ". (الحجر : 51 – 52)

"وجلون".

أي: خائفون منزعجون، فهذا هو الخوف المحض،

" فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لا تَخَفْ". (هود : 70)

إذاً: الوجل المذكور في آية الحجر هو الخوف والفزع،

" قَالُوا لا تَخَف "، هذا هو الخوف المحض،

أما الخوف في سورة الأنفال فهو الخوف المشوب بالمحبة، إذا سمعت ذكر من تحب فإن قلبك ينبض بشدة، وتشعر بشوق مختلط، وهذا الشوق مختلط برعدة تتسلل إلى الجسد، هذا هو الوجل المقصود من الآية:

" إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لا يُشْرِكُونَ * وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ * أُوْلَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ".

(المؤمنون : 57 – 61)

فهذا هو الوجل المختلط بالمحبة، وتلك هي مقدمات ذكر الله، فأول ما يذكر العبدُ ربَ العالمين يشعر بالوجل،

ثم سرعان ما يتبدد هذا الوجل إلى طمأنينة،

" الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ". (الرعد : 28)

فليس هناك منافاة بين أن يوجل القلب عند ذكر الله وبين أن يطمئن، فإن الوجل هو مقدمة الذكر، والطمأنينة بالذكر الخاتمة.

كيف تكون الطمأنينة والوجل في حالة واحدة؟

قيل: الوجل عند ذكر الوعيد والعقاب،

والطمأنينة عند ذكر الوعد والثواب.

فالقلوب توجل إذا ذكر عدله وشدة حسابه

وتطمئن إذا ذكر فضله وثوابه وكرمه.

ولتوضيح ذلك: قد يتفق للإنسان أن يمضي لرؤية شخص عظيم هو بحق ، جدير بالعظمة من جميع الجوانب، فالإنسان الذي يمضي لرؤيته قد يقع تحت تأثير ذلك المقام، وتلك العظمة، بحيث يحس بنوع من الرهبة في داخله، ويضطرب قلبه حتى أنّه لو أراد الكلام لتعلثم، وقد ينسى ما أراد أن يقوله، حتى لو كان ذلك الشخص يحب هذا الإنسان، ويحب الآخرين جميعاً، ولم يصدر عنه ما يدعو إلى القلق.

فهذا الخوف والاضطراب أو المهابة ، مصدرها : عظمة ذلك الشخص، ولله المثل الأعلى، يقول الله –تعالى– في هذا الصدد، إنما المؤمنون الصادقون الذين إذا ذكر اسم

الله، وذكرت صفاته أمامهم خافت قلوبهم، وفزعت استعظاما لجلالة وتهيبا من سلطانه، وحذرا من عقابه، ورغبة في ثوابه، وذلك لقوة إيمانهم، وصفاء نفوسهم، وشدة مراقبتهم لله عز وجل ووقوفهم عند أمره.

وقال الإمام ابن تيمية –رحمه الله–.

إعلم أن محركات القلوب إلى الله عز وجل ثلاثة: المحبة، والخوف، والرجاء. وأقواها المحبة، وهي مقصودة تراد لذاتها؛ لأنها تراد في الدنيا والآخرة بخلاف الخوف فإنه يزول في الآخرة، قال الله تعالى: " أَلا إِنَّ أَوْلِيَاء اللهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ". (يونس : 62)

والخوف المقصود منه: الزجر والمنع من الخروج عن الطريق، فالمحبة تلقى العبد في السير إلى محبوبه، وعلى قدر ضعفها وقوتها يكون سيره إليه، والخوف يمنعه أن يخرج عن طريق المحبوب، والرجاء يقوده، فهذا أصل عظيم، يجب على كل عبد أن ينتبه له، فإنه لا تحصل له العبودية بدونه، وكل أحد يجب أن يكون عبداً لله لا لغيره.

(قاعدة تحرك القلوب إلى الله عز وجل، للإمام ابن تيمية رحمه الله)

ثالثًا: أهم علامات الوجل

ومن أهم علامات وجل القلب من الله –سبحانه–،

1) شدة خوفه منه:

كما قال –سبحانه–: " إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ". (الأنفال : 2)

2) القشعريرة في البدن، ولين الجلود والقلوب عند سماع القرآن:

كما قال الله –سبحانه–: " اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ". (الزمر : 23)

3) خشوع القلب عند ذكر الله –سبحانه–:

كما قال الله –عزَّ وجلَّ–: "أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ". (الحديد : 16)

4) الإذعان للحق والإخبات له،

كما قال الله –سبحانه–: " وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ". (الحج : 54)

5) كثرة الإنابة إلى الله وأخبر أن الجنة سينالها كل من

"مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ". (ق: 33)

6) السكينة والوقار

كما قال الله –سبحانه–: " هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا". (الفتح : 4)

7) خفقان القلب بحب المؤمنين:

كما قال الله –سبحانه–: " وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ". (الحشر:10)

8) سلامة القلب من الأحقاد

كما قال الله –سبحانه–: " وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ

قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ".

(آل عمران : 103)

9) امتلاء القلب بحب الله، والأنس به، وإجلاله وتعظيمه

والإنابة إليه والخضوع له والخوف منه، وتعلق القلب به ورجاؤه وحده، والاطمئنان إليه والتوكل عليه، وغير ذلك من أعمال القلوب التي تميز المؤمنين عن الكافرين، وجماع ذلك كله محبة الله والأنس به والشوق إلى لقائه والتنعم بذكره وطاعته، فذلك أطيب ما في هذه الدنيا، وحياة القلب بذكر الحي الذي لا يموت والعيش الهني إنما هو في الحياة مع الله، ومن كان كذلك دله قلبه عن الدنيا

وانصرف كله إلى الآخرة، بل وعن كل شيء سوى الله تعالى، فهذه هي حال قلوب المنيبين إلى الله.

ثانياً: الصفة التي عبر عنها رب العالمين بقوله تعالى:

" وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آياتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا".

أي: أنهم إذا قرأت عليهم آية من الآيات زادتهم إيمانًا؛ بمعنى زادتهم قوة في التصديق، ورسوخا في اليقين، ونشاطا في الأعمال الصالحة.

" وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً"

إذا تليت عليه آياتهم أي تلاها أحد زادتهم إيماناً، وهذا فيه دليل على أن الإنسان قد ينتفع بقراءة غيره أكثر من انتفاعه بقراءة نفسه إذا تليت عليهم الآيات ازدادوا إيمانا

بالله عز وجل كما أمر النبي عليه الصلاة والسلام عبد الله بن مسعود أن يقرأ القرآن عليه فقال: " كيف أقرأُه عليك، وعليك أنزل عليك يا رسول؟ قال: إني أحب أن أسمعه من غيري فقرأ عليه من سورة النساء فلما بلغ: (فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا)، قال: حسبُك، يعني قف، قال: فنظرت فإذا عيناه تذرفان عليه الصلاة والسلام".

المهم أنه إذا تُليت عليهم الآيات زادتهم إيماناً بالله فينتفعون بها، وكذلك أيضاً إذا تلوها هم إذا تلوها يزدادون إيمانهم بذلك الوصف الثالث.

(الشيخ بن صالح بن عثيمين– رحمه الله– كتاب التوحيد)

ثالثاً: عن الصفة التي في قوله تعالى: " وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ".

أي: أن من صفات هؤلاء المؤمنين أنهم يعتمدون على ربهم الذي خلقهم بقدرته، ومن نعمته فيفوضون أمورهم إليه وحده.

ويقول ابن كثير "رحمه الله" في تفسير الآية أنهم لا يرجون غيره، ولا يقصدون إلا إياه، ولا يلوذون إلا بجلاله، ويعلمون أن ما شاء الله كان، وأنه المتصرّف في الملك، لا شريك له، ولا معقّب لحكمه، وهو سريع الحساب.

" وعلى ربهم يتوكلون".

على ربهم قدم المعمول لإفادة الحصر يعني يعتمدون على الله عز وجل لا على غيره، وهم مع ذلك يفعلون الأسباب ما يدعونها، الأسباب المأذون فيها يفعلونها لا يدعونها.

(الشيخ بن صالح بن عثيمين– رحمه الله– كتاب التوحيد)

التوكل:

معنى التوكل على الله –عز وجل –:

هو الثقة به، والاعتماد عليه، وتفويض الأمر إليه، والاستعانة به في كل شأن، والإيقان بأن قضاءه نافذ، والسعي فيما لا بد منه من مطعم، وملبس، ومسكن، التوكل في كل تفاصيل حياتك.

وهو مقام جليل من مقامات الإيمان وشرط فيه، ومن أفضل الأعمال القلبية التي تُقرِّب إلى الحق –تبارك وتعالى–، قال عز من قائل: " وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ". (المائدة : 25)

فكلما قوي إيمان العبد كان توكله أكبر، وإذا ضعف الإيمان ضعف التوكل.

وأراد سيد الخلق عليه السلام أن يجعل التوكل شعارا للمؤمن، فأرشد إلى بعض الأدعية يدعو بها حين يخرج من بيته، لما فيها من توجيه القلب إلى الله عز وجل.

فعن أم سلمة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه، وسلم كان إذا خرج من بيته قال: "باسم الله، توكلت على الله، اللهم إني أعوذ بك أن أَضل أو أُضل، أو أَزل أو أُزل، أو أَظلم أو أُظلم، أو أَجهل أو يُجهل علي".

(كتاب الدعوات، باب ما جاء ما يقول إذا خرج من بيته، رقم 3427.)

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " من قال- يعني إذا خرج من بيته- باسم الله، توكلت على الله، لا حول ولا قوة إلا بالله، يقال له: كفيت ووقيت، وتنحّى عنك الشيطان".

(كتاب الدعوات ، رقم 3426)

أبرأ من حولي وقوتي إلى حول الله وقوته، في كل أمر خرجت من أجله.

إن الله -سبحانه وتعالى- يُصرّفه لي، لهذا لا تعارض بين التوكل على الله تعالى وبين العمل واتخاذ الأسباب، بل إن التوكل لا يصح إلا إذا اتخذ الإنسان لكل عمل يريده جميع الأسباب الموصلة إلى تحقيقه.

نتوكل على الله في طاعاتنا، وفي كل تفاصيلنا حياتنا، ثقة القلب بالله عز وجل وتسليم أمور العبد المؤمن إليه جل وعلا، وتفويضها إليه، والاعتماد عليه في كل شيء.

يتضح مما سبق: أن صفات المؤمنين الأولى والثانية والثالثة منها ترجع إلى العبادات القلبية التي تدل على شدة خشيتهم من ربهم، وقوة تأثرهم بآيات خالقهم، واعتمادهم عليه سبحانه وحده لا على أحد سواه.

رابعاً وخامساً: فهم الساجدون المنفقون.

أما الصفتان الرابعة والخامسة من صفات المؤمنين فجاءت في قوله: " الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ".

ينبه بذلك على أعمالهم بعد ما ذكر اعتقادهم، وهذه الأعمال تشمل أنواع الخير كلها، وهو إقامة الصلاة، وهو حق الله تعالى .

وقال قتادة: إقامة الصلاة، المحافظة على مواقيتها ووضوئها، وركوعها، وسجودها .

وقال مقاتل بن حيان: إقامتها، المحافظة على مواقيتها، وإسباغ الطهور فيها، وتمام ركوعها وسجودها، وتلاوة القرآن فيها، والتشهد والصلاة على النبي – صلى الله عليه وسلم – هذا إقامتها.

والإنفاق مما رزقهم الله يشمل خراج الزكاة ، وجميع الحقوق للعباد من واجب ومستحب ، فأحبهم إلى الله أنفعهم لخلقه .

قال قتادة في قوله: "ومما رزقناهم ينفقون".

فأنفقوا مما أعطاكم الله، فإنما هذه الأموال عواري وودائع عندك يا ابن آدم ، أوشكت أن تفارقها.

ولا شك أن هذه الصفات متى تمكنت في النفس كان صاحبها أهلا لمحبة الله ورضوانه، ولذا مدح الحق أصحاب هذه الصفات، وبين ما أعده لهم من ثواب جزيل.

فقال: "أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ".

وقوله: "أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا".

أي: المتصفون بهذه الصفات هم المؤمنون حق الإيمان.

وقوله: "لهم درجات عند ربهم".

أي: منازل ومقامات ودرجات في الجنات، كما قال

تعالى: "هُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ".

(آل عمران : 163)

"ومغفرة"، أي: يغفر لهم السيئات، ويشكر لهم الحسنات.

وقال الضحاك في قوله: "لهم درجات عند ربهم"، أهل

الجنة بعضهم فوق بعض، فيرى الذي هو فوق فضله

على الذي هو أسفل منه، ولا يرى الذي هو أسفل أنه فضل عليه أحد.

ولهذا جاء في الصحيحين أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: "إنَّ أهْلَ الجَنَّةِ يَتَرَاءَوْنَ أهْلَ الغُرَفِ مِن فَوْقِهِمْ، كما يَتَرَاءَوْنَ الكَوْكَبَ الدُّرِّيَّ الغَابِرَ في الأُفُقِ، مِنَ المَشْرِقِ أوِ المَغْرِبِ؛ لِتَفَاضُلِ ما بيْنَهُمْ. قالوا: يا رَسولَ اللَّهِ، تِلكَ مَنَازِلُ الأنْبِيَاءِ لا يَبْلُغُهَا غَيْرُهُمْ؟ قالَ: بَلَى، والذي نَفْسِي بيَدِهِ، رِجَالٌ آمَنُوا باللَّهِ وصَدَّقُوا المُرْسَلِينَ".

(الراوي : أبو سعيد الخدري صحيح البخاري

الصفحة أو الرقم| 3256 : خلاصة حكم المحدث: صحيح)

وصفٌ بليغٌ ومرتبةٌ سَنِيَّةٌ لقلوب عبَّر عنها القرآن، ووسَمَها بأنَّها قلوب وَجِلة، ملأ الإيمانُ حناياها، وذلَّل الخضوعُ لربها أركانها، فسَمَتْ جلالًا، وارتقت ذكرًا، وزكَّاها الربُّ ثناءً ومآلًا، ولا يخلو مؤمن من حالات وجل استشعرها إثر سماع موعظة وآيات من كتاب الله، أشرَق معها قلبه، واقشعر جلده، وحلقت روحه في الملكوت الأعلى، هذه القلوب الوجلة هي التي تتذوق حلاوةَ الإيمان، وتتلذَّذ بالطاعة، وتصد مسارب الفتن والشك، وتَسلَم من العلل القلبيَّة، وأولو الأحلام والنهى يتطلَّعون إلى بلوغ المراتب العلا، ووجل القلب الذي هو الخوف مع التعظيم مِنْ أخصّ صفات المؤمنين.

رابعًا: كن من الذين إذا ذُكر الله وجلت قلوبهم

هل تحقق لديك هذا الشعور والإحساس بهذا التعبير القرآني الجليل؟

هل شعرت به في يوم من الأيام، أو في لحظة من اللحظات؟

إنها الحال التي يجدها قلب المؤمن حين يذكر بالله في صدد أمر أو نهي؛ فيأتمر معها، وينتهي كما يريد الله، وجلا وتقوى لله.

إنها الارتعاشة الوجدانية التي تنتاب القلب المؤمن فيغشاه جلالة، وتنتفض فيه مخافته؛

ويتمثل عظمة الله ومهابته، إلى جانب تقصيره هو وذنبه، فينبعث إلى العمل والطاعة.

وهذا نتيجة لِلحظة التّدبر، ولَحظة استشعار لآية حصل لهم هذا التأثر.

ما أعظم القرآن، وما أعظم تأثير القرآن على القلوب تزكيةً وصلاحا وتربيةً وفلاحا، ضرب الله جل وعلا مثلًا عجيبًا يبين عظم تأثير القرآن ، يقول جل وعلا: " لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ". (الحشر:21)

لو أُنزل على جبل لخشع وتصدع فما بال هذا القلب ؟

وما مصيبة هذا القلب ؟!

" وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا "، ووجه ذلك أنهم يلقون له السمع، ويحضرون قلوبهم لتدبره فعند ذلك يزيد

إيمانهم، لأن التدبر من أعمال القلوب، ولأنه لا بد أن يبين لهم معنى كانوا يجهلونه، أو يتذكرون ما كانوا نسوه،أو يحدث في قلوبهم رغبة في الخير، واشتياقا إلى كرامة ربهم،أو وجلا من العقوبات، وازدجارا عن المعاصي، وكل هذا مما يزداد به الإيمان.

(الشيخ السعدي –رحمه الله –)

لذلك كان السلف يعرفون من هذه الآيات أن من لم يجد في نفسه وعمله هذه الصفات لم يجد الإيمان ، ولم يكن مؤمناً أصلاً.

ولقد جاء وصف أصحاب هذه الصفة بأنهم هم العلماء،

كما في قوله تعالى: "وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ". (فاطر: 28)

والمعنى – كما يقول أهل التفسير – أنه لا يخشاه إلا عالم، لأن الله قد أخبر أن كل من خشي الله فهو عالم، وقد روي عن أبي حيان التيمي أنه قال: العلماء ثلاثة: فعالم بالله ليس عالماً بأمر الله، وعالم بأمر الله ليس عالماً بالله، وعالم بالله عالم بأمر الله. فالعالم بالله هو الذي يخافه، والعالم بأمر الله هو الذي يعلم أمره ونهيه.

خامسًا: أهمية فهم معاني القرآن

القرآن إذا تُلي وأحسن العبد تدبره وأحسن تأمل آياته وعقل معانيه زاد إيمانه وقوي يقينه وعظمت صلته بربه جل في علاه .

إن الانتفاع بالقرآن والارتفاع بالقرآن إنما يكون بحسن التدبر والتأمل والعمل بالقرآن، فإن العبد لا يكون تاليًا لكتاب الله حقًا وصدقا حتى يُحسن في أمور ثلاثة:

إحسانٌ في القراءة،

وإحسان في الفهم ،

وإحسانٌ في العمل

" الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ". (البقرة : 121)

فلا يكون تاليًا لهذا الكتاب حق التلاوة إلا إذا أحسن في هذه الأبواب الثلاثة .

ونحن حينما تشتد بِنَا المصائب، وتداهمنا الأحداث، لا يمكن أن نتصدى لها، أو نتفاعل معها، إلا من خلال اليقين بآيات الله – عز وجل –، واعتقاد أن الابتلاءات عارضة، وسحابة صيف عن قريب تقشع !

فلا مكان للشكوك، أو حضور الخوف والحزن، والوساوس، فالدين منتصر، والإسلام غالب،

" وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ". (سورة الحج : 40)

وهذا هو اليقين الذي قال الجنيد –رحمه الله–: "استقرارُ العِلْم الذي لا ينقلِب، ولا يُحوَّل ولا يتغيَّر في القلْب".

والمسلمون في هذه الظروف العصيبة، وحالات الهوان والتسلط هم أحوج ما يكونون إلى القرآن الكريم ، واستقرار القلب بالشرائع وحسن العمل، وأن العاقبة للمتقين.

والسبب لأن تراكم المصائب والأحزان يحمل العبد على التسخُّط واليأس وكراهية الاستقامة والتململ من العمل، وليس هذا بخلق أهل الإيمان، "الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ". (سورة الرعد: 28)

وامتلاك اليقين من أسباب الثبات، وتتحطم عليه كل مقامع البلاء،

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: " فأهل اليقين إذا ابتلوا ثبتوا؛ بخلاف غيرهم فإن الابتلاء قد يذهب إيمانه أو ينقصه".

أعظم وسيلة في توليد اليقين وتثبيته في القلب قراءة القرآن وتدبره والتخلُّق بمواعظه.

وذكر شيخ الإسلام أن اليقين يتحصل من تدبر القرآن، الذي هو مقصود التلاوة والتنزل، وبه الانشراح، وفقه الكتَاب ورسوخ المواعظ والبينات: "أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا". (سورة محمد : 24)

هذا هو القرآن ؛ فما شأننا مع هذا الكتاب ؟ وما واقعنا مع هذا الكتاب ؟ وهل أحسنَّا يا معاشر المؤمنين تأمل

القرآن وتدبره ومعالجة مشاكلنا ومصائبنا وأسقامنا

وأمراضنا بهذا القرآن ؟

القرآن شفاء للأسقام ودواءٌ للقلوب وزكاءٌ للنفوس وصلاحٌ

للعباد . ولو أنَّا رجعنا في كل مشكلاتنا الاجتماعية

والأسرية والأخلاقية وغيرها إلى هذا القرآن لوجدنا فيه

الشفاء ، فهو شفاءٌ لما في الصدور ودواءٌ للنفوس في

أمراضها بأنواعها من شبهاتٍ وشهوات .

إن التداوي بالقرآن لا يكون إلا بالإحسان في فهمه وتدبره،

والإحسان في التعويل عليه والرجوع إلى آياته ، وأن يكون

هو معوَّل الإنسان في أمور حياته كلها .

وقال الشيخ السعدي –رحمه الله –.

إذا تدبر العبد القرآن لا بد أن يبين لهم معنى كانوا يجهلونه، أو يتذكرون ما كانوا نسوه، أو يحدث في قلوبهم رغبة في الخير، واشتياقا إلى كرامة ربهم، أو وجلا من العقوبات، وازدجارا عن المعاصي، وكل هذا مما يزداد به الإيمان.

والقلب المؤمن يجد في آيات هذا القرآن ما يزيده إيماناً، وما ينتهي به إلى الاطمئنان.

إن هذا القرآن يتعامل مع القلب البشري بلا وساطة، ولا يحول بينه وبينه شيء إلا الكفر الذي يحجبه عن القلب ويحجب القلب عنه؛ فإذا رفع هذا الحجاب بالإيمان وجد

القلب حلاوة هذا القرآن، ووجد في آياته زيادة في الإيمان تبلغ إلى الاطمئنان.

وكما أن آيات القرآن على القلب المؤمن تزيده إيماناً، فإن القلب المؤمن يدرك هذه الآيات التي تزيده إيماناً.

أحيانا لما تكون مع بعض كبار السن الذين مَنّ الله –سبحانه وتعالى– عليهم بشيء من القرآن.

فإنهم تستدلون بالمواقف والأحداث التي تحصل لهم بآيات الله –سبحانه وتعالى–، تجده يصبر، ويقوي ويثبت الآخرين.

وهو يستدل في الابتلاءات بآيات تجبر القلب، وتربط على القلب.

إذا دبّ اليأس لقلب صاحبه،

فكتب له: احذر من انطفاء جذوة الأمل في قلبك،

ما دام ربك يسمع الشكوى،

ويكشف البلوى،

وأيقن بأنْ: "سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا". (الطلاق: 7)

لن ييأس من آمن بهذه الآية،

مهما تكالبت الهموم عليه.

صبرًا أيها القلب لو استجمعت يأس العالم في قلبك؛

لذهب به الإيمان لهذه الآية:

"سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا". (الطلاق: 7)

تأكد أنك سترى الفرج كما ترى العسر الآن !

وعد ليس مني

ولا من البشر

ولكنه وعد من رب السموات والأرض.

لن يغلبَ عُسر يُسرينِ.

إذا ضاقت عليك الدنيا بما رحبت، وأحكمت حلقاتها حتى

ظننت أنها لن تفرج .

تذكر: "سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا".

هذه الآيات نزلت على قلبه منزلا مباركاً، وعنده يقين أن

الله –عز وجل– لن يتركه.

كل أمر تفوضه إلى الله،

تخرجه من ضعف حيلتك إلى حفظة وتدبيره .

"وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ". (غافر:44)

بها تنحل الصعائب

وتنفرج الهموم

وينقلب الحال

تأمل حال مؤمن متوكل،

ركن قلبه إلى ربه قائلا :

"وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ". (غافر:44)

كيف وقاه الله من مكر عظيم أحيط به، بل أبدل حاله؟

"فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ

الْعَذَابِ". (غافر:45)

في كل الصعائب فوضها للقدير، تنحل وتنجلي بيسر.

لابد من تعطي نفسك وقتاً تفهم الآيات، وتوقعها على واقعك.

فحاجة البشرية بأسرها، وحاجة المسلمين، ولا سيما إلى القرآن الكريم ضرورية ماسة مثل ضرورة الكائن الحي للغذاء، وعناصر البقاء؛ فالقرآن مصدر الحياة والحيوية والنماء والازدهار والأمن والاستقرار، ولا تطلب هذه المقومات الكبرى إلا من هدايات الله وتوجيهه في كتابه.

ماذا قال أهل العلم والسلف عن فضل القرآن الكريم:

إن هذا القرآن رسائل من الله جل وعلا لعباده،

قال الحسن بن علي –رضي الله عنهما–: "إنَّ من كان قبلكم رأوا القرآن رسائل من ربهم ؛ فكانوا يتدبرونها بالليل، ويتفقدونها في النهار".

من أراد أن يعرف مكانته في الدين ومنزلته عند رب العالمين ومدى محبته لله جل في علاه فلينظر شأنه مع هذا القرآن كما قال ابن مسعود –رضي الله عنه–: "لا يسأل أحدٌ عن نفسه إلا القرآن ، فإن كان يحب القرآن فهو يحب الله ورسوله".

وليس الأمر مجرد دعوى، لا يكفي أن يقول العبد إنه يحب القرآن ثم يؤثر آلات اللهو والباطل على كتاب الله جل وعلا ثم لا يكون لهذا القرآن نصيبًا من حياته لا

تلاوةً ولا تدبرًا ولا عملا بالقرآن، قال بعض السلف: "يا حملة القرآن انظروا ماذا زرع القرآن في قلوبكم؛ فإن القرآن ربيع المؤمن كما أن الغيث ربيع الأرض".

وهذا المعنى جاء تبيانه في قول الله سبحانه:

"أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ **(16)** اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ". (الحديد: 16-17)

أي كما أن الله سبحانه يحيي الأرض الميتة بالماء فإن القلوب الميتة لا حياة لها إلا بوحي الله وتنزيله جل في علاه .

وقال عبد الملك بن عمير: "كان يُقال إن أبقى –أو أنقى– الناس عقولًا قُرَّاء القرآن".

وقال القرطبي: "من قرأ القرآن مُتِّعَ بعقله، وإن بلغ مائة!".

وقال شيخ الإسلام رحمه الله : "ما رأيت شيئا يغذّي العقل والروح، ويحفظ الجسم، ويضمن السعادة أكثر من إدامة النظر في كتاب الله تعالى".

سادسًا: بعض أسباب وَجَل القلب وخشيته

1) ومِنْ أجَلِّ أسبابِ وَجَلِ القلوبِ لهجُ اللسانِ بذِكْرِ اللهِ؛ فبه تطيبُ القلوبُ، وتصلحُ الأبدانُ، وتزكو النفوسُ، وتحلو المناجاةُ، قال الله –تعالى–: "وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ * الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ". (الْحَجِّ : 34 –35)

وجلت قلوبهم؛ لأنهم إذا ذُكِّروا تذكَّروا، وإذا وُعظوا اتَّعَظوا، وإذا خُوِّفوا خافوا.

2– ومن أعظم الذكر تلاوة كتاب الله،

قال الله –تعالى–: "اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ". (الزُّمَرِ : 23)

لا شيء في هذه الدنيا يصلح القلب مثل القرآن.

نحتاج قلوب حاضره وقلوب مستشعره وقلوب متأثرة.

القلب هو الأصل، وهو الأساس الذي تأتمر بها بقية الجوارح، فبقية الأعضاء هي العاملة.

لكن هذه الجوارح لن تعمل بالشكل الذي يرضي الله –عز وجل– حتى يتأثر القلب، ويعمل القلب.

ما هو حالُنا مع قلوبِنا؟

في القلبِ نيات، وفي القلبِ خفايا، هو المكانُ الذي ينظرُ إليه اللهُ –عزَ وجلَ– منك: " إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ".

(الراوي : أبو هريرة | المحدث : الألباني الصفحة أو الرقم : | 1862

خلاصة حكم المحدث : صحيح)

علَّمَنا النبيُّ –صلَّى اللهُ عليه وسلَّم– أنَّ الناسَ لا تَتفاضَلُ بحُسْنِ المظاهِرِ أو كَثرةِ الأموالِ، وإنما تتفاضلُ بطَهارةِ القلوبِ، والخَشيةِ من اللهِ، والسَّعيِ في الأعمالِ الصالحةِ، أي: إنَّ اللهَ سبحانه وتعالى لا يَنظُرُ إلى أجسامِ العبادِ؛ هلْ هي كَبيرةٌ أو صَغيرةٌ، أو صَحيحةٌ أو سَقيمةٌ، ولا يَنظُرُ إلى الصُّوَرِ؛ هل هي جميلةٌ أو ذَميمةٌ؛ ولا يَنظُرُ إلى الأموالِ كثيرةٍ أو قليلةٍ؛ فلا يُؤاخِذُ اللهُ عزَّ وجلَّ عبادَه، ولا يُحاسبُهم على هذه الأمورِ وتَفاوُتِهم فيها، "ولكنْ يَنظُرُ إلى قُلوبِكم"، أي: إلى ما فيها من التَّقْوى واليقينِ، والصدقِ والإخلاصِ، وسائرِ الأخلاقِ الحَسنةِ والقبيحةِ، "وأعمالِكم"،

أي: وينظُرُ إلى أعمالِكم من حيثُ صلاحُها وفسادُها؛ فيثيبُ ويُجازي عليها؛

فمَنْ كان للهِ أتْقَى كان من اللهِ أقربَ، وكان عندَ اللهِ أكرمَ؛ إذَنْ فعلى المَرْءِ ألَّا يَفخرَ بِمالِه ولا بِجَمالِه ولا بِبدنِه ولا بِأولادِه ولا بِقُصورِه، ولا بِشيءٍ من هذه الدُّنْيا أبدًا، إنَّما إذا وفَّقه اللهُ لِلتَّقوى؛ فهذا من فَضلِ اللهِ عليه؛ فَلْيحمدِ اللهَ عليه، وإنْ خُذِلَ فلا يَلومَنَّ إلَّا نفْسَه. (الدرر السنية)

وكلنا يعرف أهمية القلب كما قال صلى الله عليه وسلم:

" ألا وإنَّ في الجَسَدِ مُضْغَةً، إذا صَلَحَتْ، صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وإذا فَسَدَتْ، فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ، ألا وهي القَلْبُ".

(أخرجه البخاري (52)، ومسلم .(1599))

حتى يكون هناك وجل من علام الغيوب لا بدَّ من أربعة أمور:

1. معرفة الله –تبارك و تعالى–.
2. معرفة نبينا صلى الله عليه و سلم.
3. أن هناك سلف نقتفي آثارهم ونتبع هديهم.
4. أن هناك وعداً نرجوه، ونأمل أن يحققه الله لنا.

انظر إلى القرآن، وأنت معظم لمن تكلم به:

قال الله –تعالى–: "اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ". (الزُّمَرِ:23)

استشعر في قلبك أن هذا الذي بين يديك هو كلام الله

الملك العظيم الجبار المتكبر سبحانه وتعاله، تكلم به،

وهذه صفة من صفاته.

وقد نقله عنه جبريل –عليه السلام – وهو الروح الأمين.

وكلنا يعلم ما مكانة جبريل –عليه السلام – من بين

الملائكة، وهو الروح الامين.

ثم ينزل على قلب نبينا محمد –صلى الله عليه وسلم – .

هذا القرآن الذي بين أيدينا محفوظا، سالم من التحريف

محفوظ هذه بذاتها آية.

آلاف السنين مرت،

وكم تناقل الناس القرآن في الصدور.

وصل إليك سليما محفوظ.

انظر إلى القرآن، وأنت معظم له.

لا تصبح الأشياء العظمية عادية مع مرور الأوقات.

نحن نتمنى لو رأينا أثرا من آثار رسول الله –صلى الله عليه وسلم–.

ونرجو لو أنا عشنا لحظة معه واحدة –صلى الله عليه وسلم–.

ونحن نسمع عن جبريل –عليه السلام –، ونتخيل لو رأينا.

ونحن نعيش يومنا وحياتنا بتفاصيلها حتى يبلغنا الله أن نراه في الجنة، أرأيت هذه الأشواق؟

تعمل القلوب في هذه الدنيا رجاء ثواب رؤية وجه الله –عز وجل–. ثم تأتيك رسالة منه، بما تكلم به هو بذاته –سبحانه–.

هكذا تتغير نظرتك للقرآن ، فيكون هذا القرآن الذي أمامك ليس كتابا عاديا.

مع كثرة القراء وكثرة المصاحف يغيب عن الناس،

هذا الشعور ، شعور من تكلم بهذا الكتاب، وهو الله –سبحانه وتعالى–.

وجبريل ناقلة الامين

ومن بعده الرسول صلى الله عليه وسلم خير الخلق أجمعين.

كلام الله –عز وجل– القرآن الكريم:

إن من رحمة الله عز وجل وجوده وكرمه وإحسانه أن منَّ علينا بنعمة عظيمة من جملة آلائه ونعمه الجليلة، نعمةٍ أخرجنا بها من الظلمات إلى النور ، وأنقذنا بها من الضلالة، وهدانا من الغواية، وبصر بها بعد العمى.

إنها نعمة القرآن العظيم ، الذي أنزله –جل وعلا – على خاتم الأنبياء والمرسلين نورا وهدى للناس وبينات من الهدى والفرقان. إنه القرآن كتاب الله – جل جلالة – الدال عليه لمن أراد معرفته. وطريقة الموصلة لسالكها إليه ، ونوره المبين الذي أشرقت له الظلمات ، ورحمته المهداة التي بها صلاح جميع المخلوقات، والسبب

الواصل بينه وبين عباده إذا انقطعت الأسباب. وبابه الأعظم الذي منه الدخول فلا يغلق إذا غلقت الأبواب. وهو الصراط المستقيم الذي لا تميل به الآراء ، والذكر الحكيم الذي لا تزيغ به الأهواء ، والنزل الكريم الذي لا يشبع منه العلماء، لا تفنى عجائبه، ولا تقلع سحائبه ، ولا تنقضي آياته ، ولا تختلف دلالاته كلما ازدادت البصائر فيه تأملا وتفكيرا زادها هداية وتبصيرا ، فهو نور البصائر من عماها ، وشفاء الصدور من أدوائها وجواها، وحياة القلوب ولذة النفوس ورياض القلوب. "يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ". (المائدة : 16)

سابعًا: فضائل القرآن الكريم

1) بركة القرآن

البركات التي في القرآن من عند صاحب البركات، وهو الله –عز وجل– قال تعالى: "كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ". (ص : 29)

إنها بركة القرآن. بركة أنزلها الله –جل وعلا– مع هذا القرآن، وجعلها صفة وشعارا له وسمى بها كتابه الكريم.

والمبارك هو كثير البركات، من خير الدنيا والآخرة.

ففي القرآن بركة عظيمة لا تفارقه أبداً وما طلبها أحد إلا وجدها. ولا شيء أعظم بركة من هذا القرآن، فإن كل خير ونعمة، وزيادة دينية أو دنيوية، أو أخروية، فإنها بسببه، وأثر عن العمل به،

وقارئ القرآن ينال من بركة هذا القرآن بقدر عنايته

وحرصه على قراءته، فهو بركة في زيادة الإيمان بالله،

والخشوع له، ومعرفته –جل وعلا–، وتعظيمه وتقديره حق

قدره. "كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ ". (ص : 29)

فيه خير كثير، وعلم غزير، فيه كل هدى من ضلالة،

وشفاء من داء، ونور يستضاء به في الظلمات، وكل حكم

يحتاج إليه المكلفون.

" لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ ".

أي: هذه الحكمة من إنزاله، ليتدبر الناس آياته،

فيستخرجوا علمها ويتأملوا أسرارها وحكمها، فإنه بالتدبر

فيه والتأمل لمعانيه، وإعادة الفكر فيها مرة بعد مرة، تدرك

بركته وخيره، وهذا يدل على الحث على تدبر القرآن، وأنه من أفضل الأعمال، وأن القراءة المشتملة على التدبر أفضل من سرعة التلاوة التي لا يحصل بها هذا المقصود. (الشيخ السعدي- رحمه الله-)

آيات مباركة:

مثال: أحيانا تمر بنا بعض الظروف نقبل على القرآن نريد أن نقرأ بعض السور.

وأحيانا نريد أن نقرأ حتى ننجز قراءة الورد اليومي.

وأحياناً نقبل على القرآن حتى نستريح نفسيا أو نريد الطمأنينة.

وأحيانا من كثرة شعورنا بالضيق والهم لا نستطيع أن نستوعب ما نقرأ.

لا بدَّ أن تعلم أنه لما تقرأ كلام الله لا تدري كيف تحل البركات. لما تنزل البركات سوف تنزل على قلبك.

ثم تسد كل حوائجه

إذا كانت حاجة قلبك إيماناً يزيدك القرآن إيمان.

وإذا كانت حاجة قلبك شفاء سيشفي القرآن قلبك .

فمن أراد خشوع قلبه ولينة وعلاج قسوته فإنه لن يجد لذلك أعظم، ولا أجل، ولا أكثر بركة من كلام الله– جل جلالة–، فبتلاوته تلين القلوب القاسية، وتذرف العيون الجامدة وتخشع النفوس.

هذه من البركات التي تحل على هذا القلب الذي يقرأ القرآن.

كل حاجة عندك لأمر معين الله –عز وجل– يسدها لك.

فتعلق بالقرآن تجد البركة. قال تعالى في محكم التنزيل:

"كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ". (ص : 29)

وكان بعض المفسرين يقول: "اشتغلنا بالقرآن فغمرتنا البركات والخيرات في الدنيا".

ما معنى غمرتنا البركات؟

لما تنزل بركات القرآن على كل ذرة في حياتك.

المحافظة على قراءة القرآن الكريم من أسباب البركة

وفضل قراءته يعطيك؛ بركة في الرزق والوقت والعمر

وقوة في الذاكرة وطمأنينة في القلب والشعور بالشجاعة والشعور بالسعادة والفرح.

فالبيت الذي يقرأ فيه القرآن، يتسع بأهله، ويكثر خيره.

وقال أحد السلف: "كلما زاد حزبي –أي: الورد اليومي– من القرآن زادت البركة في وقتي، وما زلت أزيد حتى بلغ حزبي عشرة أجزاء".

القرآن بركة في العمر والوقت، فهو أفضل ما تشغل به الأوقات، ويستثمر به العمر.

والقرآن بركة في الرزق والمال، وبركة في الأهل، وصلاح الأولاد، عن ميمون بن مهران قال: خصلتان فيهما البركة: القرآن والمطر، وتلا:

" وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ".

(المؤمنون:18)

"وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَاهُ أَفَأَنتُمْ لَهُ مُنكِرُونَ" (الأنبياء:50)

وهو بركة في الصحة والعافية، وفيه شفاء ورحمة

للمؤمنين، قال تعالى:

"وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاء وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلاَ يَزِيدُ

الظَّالِمِينَ إَلاَّ خَسَارًا". (الإسراء:82)

بمعني أوقاتنا بورك فيها

مشكلاتنا خفت

همومنا ارتقت

إيماننا يزيد

شعورنا اتجاه ربنا أفضل

صلواتنا تكون بخشوع

حتى استشعارنا في الصلاة مختلف.

القلب لن يصلح إلا بهذا الكتاب المبارك.

2) القرآن هو حبل النجاة.

ورد في الحديث:

" كتابُ اللهِ هو حبلُ اللهِ الممدودَ من السماءِ إلى الأرضِ".

(الراوي : أبو سعيد الخدري | المصدر : الجامع الصغير الصفحة

أو الرقم | 6202 :خلاصة حكم المحدث : حسن)

عن ابنِ مسعودٍ في قولِ اللَّه وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ قالَ:

حبلُ اللَّهِ القرآنُ.

(الراوي | – :المحدث : السيوطي |المصدر : الدر المنثور.

الصفحة أو الرقم | 3/709 :خلاصة حكم المحدث : إسناده صحيح)

قال رسول الله صلى عليه وسلم: "إنّي تارِكٌ فيكُم ما إن

تمسَّكتُمْ بِهِ لن تضلُّوا بَعدي أحدُهُما أعظَمُ منَ الآخرِ:

كتابُ اللَّهِ حَبلٌ ممدودٌ منَ السَّماءِ إلى الأرضِ".

(الراوي : زيد بن أرقم |المحدث : الألباني |المصدر : صحيح

الترمذي الصفحة أو الرقم | 3788 :خلاصة حكم المحدث: صحيح)

وفي هذا الحديثِ يقولُ النَّبيُّ صلَّى اللهُ علَيه، وسلَّم:

" إنّي تارِكٌ فيكم"، أي: تركتُ لكم بعدَ مَوتي.

"ما إن تمَسَّكتُم به"، أي: أخَذتُم

"لن تَضِلُّوا بَعدي"، أي: لا تَكونوا في ضلالٍ وزَيغٍ عن الحقِّ أبدًا.

"كتابَ اللهِ" أي: القرآنَ الكريمَ، وهو أعظمُ وأفضلُ ما تَتأسَّون به، وتَقتَدون به؛ لأنَّه كلامُ اللهِ -سبحانه وتعالى-؛ فاحفَظوه، واعمَلوا بما فيه؛ لأنَّه يَهديكم إلى الطَّريقِ المستقيمِ، وإلى الحقِّ فلا تَضِلُّوا، ثمَّ قال النَّبيُّ صلَّى اللهُ علَيه وسلَّم عن القرآنِ: إنَّه

"حبلٌ"، أي: سببٌ ووُصلةٌ

"ممدودٌ"، أي: موصولٌ من السَّماءِ إلى الأرضِ،

والمقصودُ: أن تتمسَّكوا به، وأن تَعمَلوا بأحكامِه؛ لأنَّه

سيَكونُ سببًا للنَّجاةِ مِن الوقوعِ فيما يُغضِبُ اللهَ، ثمَّ أوصى النَّبيُّ صلَّى اللهُ علَيه، وسلَّم بالإحسانِ والبِرِّ بأهلِ بيتِه.

(الدرر السّنية)

لذلك أنت لا بدَّ أن تعَظّم ما أنزل الله– سبحانه وتعالى–، من آيات، هي ليست كلمات نرددها هكذا، القرآن له تأثير طيب ومبارك يحصل في حياتك في كل تفاصيلها، وأن تنظر إلى القرآن، وأنت مستشعر أنه حبل نجاتك، إن بعدت عن القرآن.

حاصرتك الهموم والذنوب

والعيوب

والغفلات

على قدر ما تكون قريباً من القرآن،

على قدر ما تكون قريباً من النور والهداية،

على قدر ما تكون من الطمآنبيه،

قريب من البركات

قريب من كل خير

فهو حبل نجاتك في الدنيا والآخرة.

في الدنيا لا نجاة لك من الهموم والغموم، ومن كل أمر

تمر به إلا بكتاب الله– سبحانه وتعالى–.

يسمعك آيات، يأتي لك أحيانا بحلول تجدها في القرآن.

انظر في الساعات التي تكون فيها متألم.

ثم يسمعك الله آيات، تمس قلبك،

فتنزل عليك الطمأنينة والسكينة حتى تبكيك وذلك من شدة تأثيرها عليك أحيانا تمر في ظرف صعب.

ثم الله يسمعك أيه تنزل هذه الآية منزل مبارك في قلبك فكأنما في قلبك نار أطفأته هذه الآية.

القرآن حبل النجاة لما يضل الناس من حولك أو ينتكس البعض فينقطع طريقهم إلى الله عز وجل، تمسّك أنت بالقرآن.

حتى يثبتك الله- عز وجل-،

على الحق والهدي والنور إلى أن تلقى الله.

كلمات ابن القيم- رحمه الله-

وقد قال ابن القيم رحمه الله كلاماً يكتب بماء الذهب،

قال: "ليس شيئاً أنفع للعبد في معاشه ومعادة وأقرب إلى نجاته: من تدبر القرآن وإطالة التأمل فيه، وجمع الفكر على معاني آياته".

وصدق رحمه الله، فإن التدبر في كتاب الله.

مفتاح كل خير، ومغلاق كل شر.

3) القرآن روح:

قال تعالى :"وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا". (الشورى:52)

الروح هي أصل وسِر تلك الحياة التي تنبض في العروق، والبريق الذي يلتمع في العيون، والحركة التي يختلج بها القلب، والحرارة والحيوية التي تسري في جسد الحي،

ومتى ما نُزِعت خبا كل ذلك، وصار جسدًا يابسًا باردًا لا حياة فيه، ولا روح.

لقد اختار الله لوحية المنزل أن يُطلق عليه نفس الاسم الذي يُطلق على سِرّ الحياة، وكأن القلوب من دون القرآن ميتة، والنفوس من دون القرآن يابسة متجمدة، والفكر من دون القرآن بارد ساكن. باختصار مؤمن من دون قرآن عبارة عن جسد خاوٍ من الروح.

قال الشيخ السعدي –رحمه الله : –

(وَكَذَلِكَ) حين أوحينا إلى الرسل قبلك (أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا)، وهو هذا القرآن الكريم، سماه روحا، لأن الروح يحيا به الجسد،

والقرآن تحيا به القلوب والأرواح،

وتحيا به مصالح الدنيا والدين، لما فيه من الخير الكثير

والعلم الغزير.

وهو محض منه الله على رسوله وعباده المؤمنين، من

غير سبب منهم،

قال ابن القيم: "تطلق الروح على القرآن الذي أوحاه الله

إلى رسوله، وسمى ذلك روحا لما يحصل به من الحياة

النافعة، فإن الحياة بدونه، لا تنفع صاحبها البتة، بل حياة

الحيوان البهيم خير منها وأسلم عاقبة".

القرآن روح تسري داخل روح المؤمن.

يعني آيات الله لما تمر على قلبك.

ماذا تفعل؟

تعطيه الحياة الحقيقة

الله –جل وعلا– سمى الوحي المنزل بالروح الذي هو سر الحياة.

الله –جل وعلا–، ذكر أن الوحي المنزل هو روح من أمره؛ ما أعظم الاسم وما أعجب الوصف. كم من قلوب كانت متشحة بالسواد ونفوس كانت ميتة قد أحياها الله بهذا الكتاب؟ كم من بعيد عن الله مسرفٌ على نفسه مُتبعٌ لهواه هداه الله بتلك الروح من أمره؟ فهل تعاملت مع كتاب الله على أنه روح، وتحتاج أن تبث هذه الروح في قلبك، حتى تسمو بها نفسك، وتسري حيويتها في أوصالك

فتمشى بها بين الناس لتكون ممن قال الله فيهم:

"أومن كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس". (الأنعام:122)

وليس كمن قال فيه: "كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها". (الأنعام:122)

هل نظرت من قبل للقرآن هذه النظرة؟ هل تفاعلت معه من هذا المنطلق؟ هل فعلت؟ وهل أنت فاعل؟

الروح تحي به الجسد، والقرآن روح يحى به القلب.

قد أثر القرآن في قلوب الصحابة، وعلى قلوب الصالحين.

وعلى قلوب الصادقين.

من هم الصادقين؟

الصادق مع الله هو من يصدقه في السر والعلن، وفي الخفاء والظاهر فهو صادق مع نفسه لله- سبحانه وتعالى-.

والصدق مع الله له مواضع عديدة منها:

1- الصدق مع الله في الإخلاص...

لا يجعل عبادته وخلقه ليعجب الناس به، ويتقربون إليه بل يخلص ذلك لوجه لله -تعالى-.

2- الصدق مع الله في الحب...

فلا يقدم محبة الآخرين على محبة الله ورسوله قولا وعملا وطاعة.

3- الصدق مع الله في الطاعة ...

على كل حال في السراء والضراء يبقى صامدا لطاعة الله.

4- الصدق مع الله في القرآن ...

في التدبر وتطبيق أحكامه وتلاوته ومحاولة حفظه.

5- الصدق مع الله في الاحتساب ...

كاحتساب الأجر في الوضوء ورد الآذان والأكل وزيارة الأرحام وعودة المرضى وصلة الجيران فلا يكون ردا للجميل أو لتغيير الجو وقضاء الوقت.

6- الصدق مع الله في الصلاة...

صدق الخشوع قياما وصدق الركوع وصدق السجود

وصدق الذكر وصدق الطمأنينة وصدق الوقت.

7- الصدق مع الله في الذكر...

فلا يكون قلبه لاهيا عند ذكره.

8- الصدق مع الله في الدعاء...

فيكون موقنا بالإجابة دون أي شك أو تردد.

9- الصدق مع الله في الأخلاق...

لا يسعى إلى كسب إعجاب ومحبة الآخرين بأخلاقه لا

يقصد رد الجميل والمجاملة.

قلبه طهارة نفسه وبين الصدق مع الله في السر.. فبينه

الدوام. على جوارحه وباقي ولسانه

ولا ينتظر ثناء ومدحا على خلقه... بل يعطي، ويعدل

ويصبر، ويتواضع ويتشاور، ويساعد ويعفوا ويسامح

ويتغافل. ويحتسب الأجر كل خلق لله عز وجل لأن

الرسول صلى الله عليه وسلم قال: "أثقل شيء في الميزان،

الخلق الحسن"، " أقربكم مني مجلسا يوم القيامة أحسنكم

خلقا". (حديث صحيح)

إن صدقنا أذاقنا الله –عز وجل–، ماذا يذيقنا ؟

يذيقنا طعم هذه الحياة

الصادق في حياته الدنيا لا يزال مرتاح النفس،

طيب البال، منشرح الخاطر، منتقلاً من خيرٍ إلى خير.

أسأل الله العظيم أن يحيينا حياة الصادقين.

كلما كنت قريبا من الروح –القران–

زاد قلبك وروحك نبض الحياة، واستشعرت بهجتها.

ويشعر الإنسان الذي لو يتأخر عن قراءة القرآن، أو يقل

ورده اليومي يشعر بأنه قد فقد شيئاً عظيماً ترك فراغ في

يومه، فالذي ذاق لذة قراءة القرآن لا يستطيع أن تركه،

لأنه استشعر نعمة الله عليه.

القرآن يجلي الأغطية التي على القلب، وينقي القلب من

النكتات السوداء، ومن آثار الذنوب والمعاصي، فالقرآن

يزيلها، ويمحيها عن قلبه، فينشرح صدره، ويقبل على الأعمال الصالحة، وتزيد حسناته.

فإذا العبد قلل من قراءته لوردة من القرآن أو انشغل قليلا عنه، يشعر أن في داخله نور انخفت، وأن الشراحه اللي في القلب بدأت تضيق

وهذا نتيجة أن مساحة قراءة القرآن في وقته قلت أو ضعفت.

فمن أقبل على كتاب الله

وشرح له صدره، وعاش في رحابه،

لان قلبه، ووجل فؤاده، وأورثه خشية وحياء من الله، وزاد إيمانه.

ما الذي ينظرُ اللهُ –تعالى– إليه في قلبِك الآن؟

النظر إلى الهدى والتقى والإيمانِ؟ أم ينظرُ إلى الدنيا

والهوى والشيطانِ؟

أو هل في القلبِ عباداتٌ هي أعظمُ العباداتِ، وطاعاتٌ

يُحبُها ربُ الأرضِ والسماواتِ.

فإن لم تجد قلبك عند القرآن فأين تجده؟

إن لم تجد أثر الموعظة والقرآن في قلبك ففتش في

السبب، وعالج المرض، قال الله –تعالى–: "وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ

نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ". (الْعَنْكَبُوتِ:43)

كيف نطمع في حياة القلب ووجله وخشيته، قال

الله – تعالى–:

"وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ". (التَّوْبَةِ:124)

مظاهر حياة القلب:

ومظاهر حياة القلب علامات، ودلالات على طريق المراقبة الذاتية تقدم لمن وجدها بشائر تشد أزره، وتشحذ همته، وتثبت خطاه على طريق الاستقامة، كما يؤدي فقدانها إلى الخوف على الحال والمال، ومن ثم فهي في الحقيقة وسيلة مهمة في المحافظة على حياة القلب وسلامته ، بل إنها أداة فعالة إذا حسن استخدامها.

ما العلامة التي تدل على أن روحا وحياة قد سرت، ودبت في القلب؟

العلامة التي تدل على أن روحا وحياة سرت ودبت في القلب هي وجل القلب .

ذكرنا فيما سبق أسباب وجل القلب:

1. ومِنْ أجَلِّ أسبابِ وَجَلِ القلوبِ لهجُ اللسانِ بذِكْرِ اللهِ.

2. ومن أعظم الذكر تلاوة كتاب الله .

3. ومن أسباب وجل القلوب تعظيم شعائر الله، وتعظيمها من تعظيم أمر الله –سبحانه–؛ فكل ما عظَّمَه اللهُ ورسولُه فهو عظيم، وتعظيمُه علامةُ صلاحِ القلبِ، قال الله – تعالى–: "ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ". (الْحَجِّ:23)

أورث الله من عظم شعائره التقوى في قلبه، فالتعظيم إنما نشأ عن وجل القلب من الله ومحبته –سبحانه–.

4. ومن أسباب وجَل القلب جَعْلُه وعاءً من أوعية العلم الموصل إلى الله، المقتضي معرفة الله بأسمائه الحسنى وصفاته العلا، قال الله –تعالى–:

"وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ". (الْحَجِّ: 54)

ولَمَّا كان عِلْمُ النبيِّ –صلى الله عليه وسلم– بربِّه أكملَ العلمِ كان أشدَّ الناسِ خشيةً منه –سبحانه–، قال الله –تعالى–: "إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ". (فَاطِرٍ:28)

5. ومن أسباب وَجَل القلب عدم الغفلة عن التوبة وتعاهُد الاستغفار، وسرعة الأوبة؛ إذ لا يتأتَّى وجل القلب إلا من هذه الأمور المطهرة له، فأنى لقلب مريض أن يوجل؟! وأنى لقلب غافل أن يخشع؟! قال الله –تعالى–: " إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا". (التحريم:4)، وقال: "إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ". (الْأَعْرَافِ:201)

6. بذل المعروف، تعوُّد العطاء، تنوُّع الإحسان، مما يُلين القلبَ، ويُكسِبه الوجلَ والخشيةَ والرقةَ، شكا رجلٌ إلى رسول الله –صلى الله عليه وسلم– قسوة قلبه،

فقال له: "إن أردتَ أن يلينَ قلبُكَ فأطعِمِ المسكينَ، وامسَحْ رأسَ اليتيمِ".

7. الإكثار من ذكر الموت ودوام الاستعداد له يذكر الآخرة، ويُحيي القلبَ من موته، ويُوقِظه من غفلته، قال الله –تعالى–: "إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ". (ق:37)

فمن تعاهد قلبه وصدق مع الله، هداه الله سبل الجنة، وثبته على الصراط، قال الله –تعالى–: "وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ". (الْعَنْكَبُوتِ:69)

وأولو الأبصار يتعاهدون قلوبهم؛ فالقلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن، يقلبها كيف يشاء –سبحانه–، وفي

الحديث: "إِنَّمَا سُمِّيَ الْقَلْبُ مِنْ تَقَلُّبِهِ، إِنَّمَا مَثَلُ الْقَلْبِ كَمَثَلِ رِيشَةٍ مُعَلَّقَةٍ فِي أَصْلِ شَجَرَةٍ تُقَلِّبُهَا الرِّيحُ ظَهْرًا لِبَطْنٍ". (رواه أحمد)

وقد خَشِيَ من تقلُّب القلب أعلمُ الناس بالله، فكان دائم الدعاء بثبات قلبه –صلوات الله وسلامه عليه–؛ "يا مقلبَ القلوبِ ثَبِّتْ قلبي على دِينِكَ"، فما شأنُ غيرِه من الناس؟!

وإذا وفَّق اللهُ عبدَه ليكون أهلًا لوَجَل القلب ولتقواه فسوف يَقطِف ثمارَ ذلك ويجنيها بردًا وسلامًا.

ثامنًا: ثمرات وجل القلب في الدنيا والآخرة

1) فمن ثمرات الوجل في القلب طيب الحياة في الدارين؛

فإن هؤلاء يقولون يوم القيامة:

"إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ

السَّمُومِ". (الطُّورِ: 26-27)

2) ولو لم يكن من ثمار وجل القلب إلا التلذذ بمناجاة

الله، والأُنس بالله لكان أعظم ما يُظفَر به ويُفرَح،

قال الله –تعالى–: "أَمْ مَنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا

وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ". (الزُّمَرِ:9)

لما آثَرُوا حلاوةَ الراحة أورَثَهم اللهُ حلاوةَ طاعته، ولذةَ

مناجاته، قال الله –تعالى–:

" تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا

وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ". (السَّجْدَةِ : 16)

3) ومن ثمرات وجل القلب الدفع بصاحبه إلى المسارَعة

في الخيرات، وإجابة الدعوات؛ لَمَّا دعا زكريا ربَّه:

" رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ". (الْأَنْبِيَاءِ: 89)

قال الله –تعالى–: "فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا

لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا

وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِين". (الْأَنْبِيَاءِ:90)

4) وبالقَدْر الذي يكون في القلب من الوجل والخشية

يكون الأمان من الفتن والشهوات، ويُحبِّب اللهُ إليه

الإيمانَ، ويُزيِّنه في قلبه.

5) كما أنَّ صاحبَ هذا القلب ليس من شأنه أن يَسلُكَ

سبيلَ المفسدينَ، بل هو مأمون الجانب، ويُسهِم في أمن

المجتمع، فالمسلم مَنْ سَلِمَ المسلمون من لسانه ويده، وهذا

هو المعنى الذي جسَّدُه أحدَ ابنَيْ آدمَ؛ "لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ

يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ

رَبَّ الْعَالَمِينَ". (الْمَائِدَةِ : 28)

6) وجلُ القلبِ يُثمر الرحمةَ بالخَلْق، ولِينًا في التعامل،

والتلطفَ مع جفاء الآخرينَ، ويستجلِب صاحبُه رحمةَ الله،

قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: "الراحمون يرحمهم

الرحمن"، وقال: " ارحموا من في الأرض يرحمكم من في

السماء". (أخرجه أبو داود (4941)، والترمذي 1924))

تلك القلوبُ هي الفائزةُ في يومٍ تكونُ للمنيبينَ الجائزةُ؛ كما

قالَ تعالى: "وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ هَذَا مَا

تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ

بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ادْخُلُوهَا بِسَلامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ لَهُم مَّا

يَشَاؤُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ". (ق : 31-35)

فمن تعاهد قلبه، وصدق مع الله، هداه الله سبل الجنة،

وثبته على الصراط، قال الله تعالى:

" وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا". (الْعَنْكَبُوتِ: 69)

وأولو الأبصار يتعاهدون قلوبهم؛ فالقلوب بين أصبعين

من أصابع الرحمن، يقلبها كيف يشاء –سبحانه–، وفي

الحديث: "إِنَّمَا سُمِّيَ الْقَلْبُ مِنْ تَقَلُّبِهِ، إِنَّمَا مَثَلُ الْقَلْبِ

كَمَثَلِ رِيشَةٍ مُعَلَّقَةٍ فِي أَصْلِ شَجَرَةٍ تُقَلِّبُهَا الرِّيحُ ظَهْرًا

لِبَطْنٍ". (رواه أحمد)

فإذا أردت اختبار قلبك لتعرف أي القلوب هو؟!

فاسأل نفسك: أيحضر القلب عند ذكر ربه؟

أيخشع لسماع كلامه؟

أينصت لترديد أذانه؟

أبكى ليلة خوفا من عذابه؟

أضطرب يوما لاحتمال طرده من جواره؟ أقلق من خاتمة

أعماله؟ كن صادقا وإن لم يطلع عليك أحد ، فإنه سبحانه

أدرى منك بسريرتك وأعلم بك منك،

فاعرف موقعك من الإيمان كما سبق، وعرف الحسن

البصري لما سأله رجل فقال: يا أبا سعيد! مؤمن أنت؟

فقال له: " الإيمان إيمانان، فإن كنت تسألني عن الإيمان

بالله وملائكته وكتبه ورسله والجنة والنار والبعث والحساب

فأنا به مؤمن، وإن كنت تسألني عن قول الله –تبارك

وتعالى–: "إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ

وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ"

إلى قوله: "أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا"، فوالله ما أدري أنا

منهم أم لا".

أحياء القلوب إذا تليت عليهم آيات الرحمن خرُّوا سجدا

وبكيّا بينما غيرهم خرَّ عليها صمّا وعميانا، لأنهم

أصحاب حياة يسمعون بقلوبهم قبل أسماعهم. ولذا قال

ابن زيد في قوله: "وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ ". (الحاقة : 12)

واعية: إنما تعي القلوب ما تسمع الآذان من الخير والشر.

قال ابن القيّم –رحمه الله–:

"فالوعي توصف به الأذن كما يوصف به القلب، يقال:

قلب واع وأذن واعية لما بين الأذن والقلب من الارتباط،

فالعلم يدخل من الأذن إلى القلب، فهي بابه والرسول

الموصل إليه العلم؛ كما أن اللسان رسوله المؤدي عنه،

ومن عرف ارتباط الجوارح بالقلب علم أن الأذن أحقها أن

توصف بالوعي، وأنها إذا وعت وعى القلب".

أخيراً :

من صفات المؤمنين التي ذكرها الله الذي يعلم ما في

الصدور: "إذا ذكر الله وجلت قلوبهم".

خافت وفزعت لأنهم علموا كيف حال عباد الله المؤمنين؟

" إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم، وإذا

تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا". (الأنفال: 2)

فالمؤمن الصادق إيمانه في ازدياد البدء بالخشية والخوف

من ذكر الله حتى يصبح قلبه يسعد ويفرح بذكر الله.

" الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن

القلوب". (سورة الرعد : 28)

فيزيده ذكر الله إيمانا، " وإذا تليت عليهم آياته زادتهم

إيماناً، وعلى ربهم يتوكلون".

كيف لا يتوكلون على الله، وهم عرفوا عظمته، وعاشوا لذة

قربه واللجوء إليه، وعرفوا أن بيده مفاتيح الخير، ولا تحول

ولا تغير لأي حال إلا بيده وبقوته فكان التوكل على الله

نتيجة الإيمان حقا بالله وبصفاته وخشيته ومراقبته.

أخفى الله القُبول: لتبقى القلوب على وجل

وأبقى باب التوبة مفتوحا: ليبقى الانسان على أمل ،

وجعل العبرة بالخواتيم: لئلا يغتر أحد بالعمل.

كم من مشهور في الأرض مجهول في السماء

وكم من مجهول في الأرض معروف في السماء

المعيار عند الله التقوى وليس الأقوى

"إن أكرمكم عند الله أتقاكم".

والله هو الحي القيوم والكل فان.

هو القادر على كل شيء وغيره عاجز.

هو الغني عن العالمين، ونحن الفقراء إليه.

القرآن كلام الله أنزله لنا دستورا نتبعه ونورا نهتدي به فإن

تلونا آية ذكرت يا أيها الذين آمنوا ... وجب الإنصات

والامتثال لما يأتي بعده أمر نعمل به أو نهي ننتهي عنه،

كما فعل صحابة رسول الله –صلى الله عليه وسلم –،

فكانوا من عباده المؤمنين رضوان الله عليهم.

الله سبحانه أعطى وصفا شاملا للمؤمن وقلب المؤمن

وحاله عند ذكر الله أي في كل عباداته فالصلاة ذكر لله

والاستغفار ذكر لله وتلاوة القرآن ذكر لله ... فكان معيارا

لقياس إيماننا فمن هنا نعرف درجة إيماننا ...

وأين نحن من هذا الوصف؟

كيف هي صلاتنا ...؟

أهي حركات وطلوع وهبوط وشفاه تتحرك أم قلوب توجل،

وتخشى وتلجأ لله، وتشعر بلذة الوقوف بين يديه.

كيف هو استغفارنا وتسبيحنا؟

أهو تعظيم لله الخالق وندم وشعور بالذنب والضعف والذل

لله أم كلمات نرددها، ونعدها.

قلب المؤمن حي إذا صلى فاضت عيناه من الدمع، وإذا

أنهى صلاته اشتاق إليها، واتقى الله، وشعر بمراقبته له.

وممن ذكر الله في السبعة الذين يظلهم تحت ظل عرشه:

"ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه". (الألباني | المصدر :

صحيح ابن خزيمة | الصفحة أو الرقم : 358)

هنا تفيض العين بالدموع إما شوقا وحبا للقاء الله، أو خوفا

وخشية من جلال الله، فالعين لا تدمع إلا إذا طهرت

النفس، وزكت الروح، وصفى القلب.

فإذا امتلأ القلب إيماناً ونوراً وعلما ويقينا فاضت العين

بالبكاء.

سبحانك ربنا وبحمده، لا رب غيره، ولا إله سواه، ولا

شريك معه.

سبحانك ربنا وبحمدك

كيف لا نفزع إليك في الملمات ...

ونرغب إليك في النائبات

ونحن نعلم أنك أنت الله اللَّهُ لَا إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ .

وسع سمعك الأصوات، وقهرت جميع المخلوقات

ما من نعمة إلا وأنت وليها،

ولا من نقمة إلا وأنت القادر على دفعها.

سبحانك اللهم وبحمدك

كيف لا توجل قلوبنا عند ذكر اسمك.

ونحن نعلم أنك أنت الله اللَّهُ لَا إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ.

ليس لك سمي ربنا وخالقنا ورازقنا ورب كل شيء.

إن طاب قلبك، فطابت حياتك في الدنيا والآخرة.

نسأل الله أن نكون منهم، وأن يزيدنا إيماناً.

ويرزقنا قلوبا خاشعة وعيونا دامعة ونفوسا مطمئنة.

المراجع :

وجل القلب وخشيته: الأسباب والثمرات لعبدالباري بن عواض الثبيتي.

الكلم الطّيب – طب القلوب – إذا ذكر الله وجل قلبه.

المؤمن بين الوجل والطمأنينة – طريق الإسلام.

ملتقى أهال الحديث – المكتبة الشاملة الحديثة.

ملتقى الخطباء – بركة القرآن لأحمد السويلم.

حياة القلب ملتقى الخطباء – الفريق العلمي.

القرآن – الشيخ عبد الرزاق البدر.